الجزء الخامس – الخطبة رقم ١٥

مواقف في الفتن – ٥

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ ومن مواقف الفتن والنوازل: الحذر من أن تكون بعض مفتاحا تزيد تصرفات الفتنة ضرراً والنار استعاراً، ومثال ذلك: أن بعض الناس بدافع الغيرة والإصلاح ما إن تقوم فتنة بل ما إن تلوح بوادرها في الأفق حتى يسارع في إقحام نفسه بالتدخل فيها دون سؤال وبصيرة، بل بدافع العاطفة والعجلة المذمومة، ذلكم لأنه نصّب نفسه وزكى رأيه ولم يلق بالاً إلى من تقدمه في العلم والسن.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ ومما يؤكد من التحذير في زيادة فتح أبواب في الفتن قوله صلى الله عليه وسلم:"إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه"

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ وإن مما يؤخذ من التصرفات المشينة في أوقات الفتن، بل وتزيد في إذكاء نار الفتنة ما يثير الشحناء والتقاطع بين أمراء المسلمين وعامتهم، وكذلك ما يثير الشحناء والتقاطع بين عامة المسلمين وكبار علمائهم وذلك بتهميش دور كبار علمائهم بل ورميهم في نياتهم ومقاصدهم، ومن التصرفات المشينة أيضاً التي تزيد الفتنة ضرراً إدخال اليأس والقنوط والتشاؤم على الناس.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ ولما كان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم أدرى الناس بفهم النصوص وأقرب الناس لواقع التنزيل كانوا رضي الله تعالى عنهم أحذر الناس عند مواقع الفتن، وأسرع الناس بعداً عما يزيد شرها وضررها؛ فقد ذكر التاريخ أهل الفتنة والفساد لما خرجوا على عثمان رضي الله تعالى عنه، واتسعت دائرة الفتنة وعظمت، جاء رجل إلى أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما فقال له: ألا تكلم هذا – يعني عثمان رضي الله تعالى عنه، قال أسامة: (قد كلمته ما دون أن أفتح باباً أكون أول من يفتحه، وما أنا بالذي أقول لرجل بعد أن يكون أميراً على رجلين أنت خير بعدما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن كما يطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون:أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله"). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قال المهلب:(أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان وكان من خاصته، وممن يَخْفَ عليه في شأن الوليد بن عقبة لأنه ظهر عليه ريح نبيذ وشهر أمره، وكان أخاً لعثمان لأمه وكان يستعمله، فقال أسامة: قد كلمته سراً دون أن أفتح باباً، أي

(١) فتح الباري حديث ٧٠٩٨

باب الإنكار على الأئمة علانية خشية أن تفترق الكلمة ثم عرّفهم أنه لا يداهن أحداً ولو كان أميراً)[1] ، فانظروا معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ كيف كان فقه شباب الصحابة فضلاً عن شيوخهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ ومن مواقف الفتن والنوازل: وهو متعلق بما قبله عدم التثريب واللوم على بعض كبار العلماء الذين لا يكون لهم قول في بعض الفتن وبخاصة الفتن الكبيرة، ذلكم معاشر شباب الإسلام أن الأمر لم يتضح له بعد أو لم تترجح مصلحته من مفسدته، فمثل هذا من الديانة الواجبة عليه لزوم التوقف حتى يتبين له الأمر، وقد بين صلى الله عليه وسلم أن بعض الفتن تجعل الحليم حيرانا، وأيضاً شباب الإسلام فقد يكون للعالم الكبير فتوى تخالف فتوى عالم آخر قد أفتى في تلك النازلة وطار بفتواه كثيرون، وتحمسوا لها بل جعلها بعض المتحمسين لها هي الحق بعينه واتهم من خالفها وسعى في ذلك وأجلب عليها بخيله ورجله، وأقنع كثيراً من دهماء الناس بها، فبالله عليكم معاشر المسلمين إذا جاءت شريحة من أولئك الذين لا يرون حقاً إلا بتلك الفتوى جاء أولئك إلى عالم كبير راسخ في العلم يرى ديانة أن تلك الفتوى تخالف الصواب وزادها خطأ تلقّف أولئك المتسرعين لها واتهام من خالفها فعندما يأتي أولئك إلى هذا العالم الذي يرى خلاف ما عندهم فيمسك عن جوابه تورعاً، ذلكم لأنه يعلم أن بعض السائلين يأتي العلماء ليفتيهم لا ليستفتيهم، وقد ظهر ذلك جلياً في مواطن كثيرة، فعندما أفتى بعض العلماء بفتاوى تخالف ما تحمس له الكثيرون لم يسلموا من الطعن والاتهام، و والله إن من جاء إلى أهل العلم بهذه الصورة متحمساً لما عنده غير قابل ولا معتذر لمن خالف ما عنده، فلا يخلو من أنه جاهل أو صاحب هوى أو يسعى للوقيعة بين المسلمين وعلمائهم وهو في جميع تلك الأحوال قد فتح باب شر وأغلق باب خير شاء أم أبى.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ وإن من مواقف الفتن والنوازل ما يلاحظ على بعض بل كثير من الغيورين من التماس العذر لأناس دون العلماء منزلة وديانة فيما يظهر، يخطئ أحد أولئك أو يقول خلاف ما تحمس له الكثيرون فلا يعرجون على قوله بل يتحاشون ذكره، فإن جاء ذكره رغماً عنهم التمسوا له العذر وذكروا أثره وفضله، بينما لا ترى لتلك المحامل أثراً عندما يكون المخالف لهم أحد كبار علمائهم، بل والله قد يُسمع الطعن في علمه وفقهه، بل وفي دينه وأمانته، أيا عجباً من هذا التناقض، بل من ضعف البصيرة والديانة، فهذا والله من صور اتباع الهوى، وهو نذير شر وفتنة.

إذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى فإن فطام النفس عنه شديد

يا شباب الإسلام لنحاسب أنفسنا بصدق، ولنحذر مخادعة أنفسنا، وسنرى من الله ما يشرح صدورنا.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ إن الطعن في العلماء وإسقاط منزلتهم فيه قيام بأمر يتمناه شراذم من الخلق في الداخل والخارج، فاليهود وأذنابهم من أهم أهدافهم إسقاط منزلة العلماء ليفتح لهم الباب في غزو مجتمعات المسلمين؛ فقد جاء في بنود مخططات اليهود ما نصه:(وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودا في طريقنا وان نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوما) معاشر المسلمين، هكذا قالت اليهود، وهكذا سعوا لما أرادوا لعلمهم بمدى ثقة المسلمين بعلمائهم وترسُّخ تلك الثقة في سويداء قلوب المسلمين. قال بعض الكتّاب الغيورين:(وقد تكاتفت جهود الصليبية واليهودية ومن تبعها للإجهاز على سمعة العلماء وعلى مر السنين وتقادم العهد آتت هذه الجهود أكلها وجنت ثمارها فأقامت أمة الإسلام على شريحة من أبناء جلدتها صنعت على أعين أعداء الإسلام فنظرت تلك الشرذمة إلى العلماء نظرة الناقد الحاقد، فسخروا أقلامهم، وشمروا عن سواعدهم، واتهموا العلماء بأنهم قوم رجعيون جامدون متخلفون، فإلى الله المشتكى) انتهى كلامه وفقه الله تعالى وبارك في قلمه.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ ولا يخفاكم ما للعلمانيين ومن حذا حذوهم من الحداثين الحاقدين على تعاليم الإسلام من سعيهم جادين في التشكيك في منزلة العلماء والسعي في إسقاطها، وهذا معروف في قصائدهم ومقالاتهم، وقدوتهم في ذلك شراذم يهود كما سلف، فالحذر الحذر معاشر المسلمين معاشر شباب الإسلام، الحذر من أن نسعى لخدمة مقاصدهم بجهلنا فيفرحون أي فرح بذلك لعلمهم بتحقيق مآربهم من طرق كانوا يخشونها عقبة في طريقهم فأصبحت جسراً أو قناة إلى مقصدهم، فاحذروا معاشر المسلمين وشباب الإسلام، فحصوننا مهددة من داخلها وخارجها.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ وإن من مواقف الفتن المتعلقة بفتاوى العلماء ما يحصل من بعض الغيورين من مدح العالم إذا وافقت فتواه ما تهوى أنفسهم، والقيام بنشرها وترويجها بين الناس، فإذا ما وقعت نازلة أخرى وأفتى فيها ذلك العالم نفسُه بفتوى لا توافق ما يريده بعضهم، لم يلق لتلك الفتوى صدى كأختها السابقة، بل عسى العالم أن يسلم من المؤاخذة على ذلك. يا شباب الإسلام كونوا وأنتم كذلك إن شاء الله تعالى أبعد الناس عن تلك الصفات المشينة القبيحة فحذروا من وقع من إخوانكم وانصحوا لهم وذكروهم بمغبة هذا الأمر، وأنه يخالف ما أمر الله تعالى به من العدل في القول "وإذا قلتم فاعدلوا"، فأين العدل ممن يحب من وافق رأيه ولو كان الموافق جاهلاً، ويبغض من أفتى بخلاف رأيه ولو كان المخالف عالماً، وأين العدل في الأمر ممن يسعى لنشر ما يوافق مراده، ويكتم أو يقلل من شأن من خالف مراده، واعلموا رعاكم الله تعالى أن هذا التصرف المشين يمنع كثيراً من أبواب الخير والفضل، فقد يكون سبباً في محق بركة العلم وبركة الحفظ وبركة الفهم، بل وقد يتعدى ذلك وهو من

لوازمه إلى قلة الخشوع في الصلاة، وقد يزيد ضرره إلى نفور الناس منه وعدم قبولهم لسماع كلامهم فضلاً عن اقتناعهم به.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ ومن مواقف الفتن والنوازل أن يعتبر المسلم وبخاصة شباب الإسلام ودعاة الإصلاح، أن يعتبروا من الدروس والعبر المتعلقة بما سبق من النوازل عموماً، وأن ينظروا إلى ذلك نظرة ترو وإمعان حسب العلم الشرعي وسؤال أهله.

وذلكم شباب الإسلام لأن النظر فيما سبق من النوازل ودراية أسبابها ونتائجها يعود عليكم بفوائد كثيرة منها: معرفة مكامن النقص والتقصير، سواء كانت عامة أو خاصة، وذلك لاجتنابها ومعرفة مواقع الصواب للزومها، وبكل حال فالنظر فيما سبق من النوازل يكون بعد عون الله تعالى منظاراً لما يحدث من لواحق النوازل والحوادث.

معاشر شباب الإسلام: ولعظيم الاعتبار والنظر فيما سلف من النوازل أمر الله تعالى عباده بذلك، بل تكاثرت النصوص في هذا الشأن، فتارة فيها الحث على ذلك للحذر مما وقعوا فيه، وتارة لبيان الآثار الوخيمة في الغفلة عن الأحداث الماضية وعدم الاعتبار بما كان فيها، فمن باب الحث على السير والنظر في الحوادث السالفة والاعتبار بما كان فيها، قوله تعالى:"قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين" "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين" "فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين". ومن باب أن الغفلة عن الأحداث قد تورّث الوقوع في ما وقعوا فيه أو بعض ما وقعوا فيه "أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" " أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق".

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.